النهار
٢٠٠٣/٦/٢٠

الانتفاضة حتى تُثمر

طبعاً، لا يكفي ان يجري الحديث عن اطلاق مروان البرغوثي، ولا بد من ان يخرج امين سر حركة "فتح" في الضفة الغربية من السجن الاسرائيلي ويخرج معه عدد وافر من المعتقلين الفلسطينيين الآخرين حتى يصبح جائزاً الكلام عن تقدم فعلي في اتجاه تطبيق خريطة الطريق. لكن مجرد طرح هذا احتمال، وخصوصاً بعدما اكدته ردود الفعل الغاضبة في اليمين الاسرائيلي، يوحي وجوب اخذ هذه الخطة على محمل الجد، على الاقل في مرحلتها الاولى.
ان تُحمّل خريطة الطريق طابعاً جدياً لا يعني سوى شيء واحد، وهو الاقتناع بأن الولايات المتحدة معنية حقيقة بإنجاحها بكل ما يطلب ذلك من متابعة ومن ضغوط. فهل هذا حاصل؟ ذاك هو السؤال الاكبر والذي لا جواب نهائي عنه.
الضغوط الاميركية على السلطة الفلسطينية لا تحتاج بالتأكيد الى ما يبيّنها اكثر مما هي صارخة، وكذلك املاءات ادارة بوش على الاطراف العربية المحيطة. المسألة هي في حجم الضغوط الاميركية على الحكومة الاسرائيلية.
منذ ان تكرّست العلاقة الاستراتيجية الاميركية - الاسرائيلية قبل ثلاثة عقود ونيف، اتبعت الادارات المتعاقبة في واشنطن قاعدة عمل تقضي باخفاء اي ضغوط تضطر لممارستها على اسرائيل وراء الكواليس. وكانت الحجة الدائمة وراء هذا التصرف ان الضغوط السرية اكثر فاعلية، وخصوصاً في ظل الحضور القوي لاسرائيل في الكونغرس.
وحتى في المرة الوحيدة التي بدت خروجاً على القاعدة في عهد جورج بوش الاب، فإن الغرض من التعبير العلني كان ابداء الامتعاض اكثر مما كان الضغط بأمل تحصيل نتيجة. كان ذلك قبيل حرب الخليج عندما اختار جايمس بايكر، وزير الخارجية آنئذ، ان يترك العنان لغضبه من سياسة الرفض التي اتّسمت بها حكومة اسحق شامير، في مؤتمر صحافي شهير ختم به محاولته احياء عملية السلام في الشرق الاوسط بالقول ان الاسرائيليين يعرفون عنوان البيت الابيض ان شاؤوا التحرك، ثم ما لبث ان اعطى امام العلن الرقم الهاتفي للرئاسة في حال كانوا قد اضاعوه. اما عندما حان وقت الضغط الجدي عام ١٩٩٢، بعيد انعقاد مؤتمر مدريد، فإن ما بان منه من خلال الاحجام الاميركي عن منح اسرائيل ضمانات لقروض طلبتها بحجم عشر مليارات دولار، كان اقل بكثير مما تعرضت له حكومة شامير نفسه، ودائماً على يد بايكر، واثمر في سقوط الليكود في الانتخابات وعودة اسحق رابين الى الحكم.
القاعدة لا تزال سارية المفعول، بل لعلها اضحت اكثر صرامة مع الازدياد المطّرد لوزن اللوبي الاسرائيلي الليكودي في واشنطن واستيطانه قلب الادارة الاميركية في عهد بوش الابن. كما ان وزير الخارجية الذي يفترض به ان يقود الحملة الديبلوماسية ويدفع في اتجاه الضغط ان لزم الامر، لم يعد في الموقع المركزي الذي احتله ماضياً بايكر. ليس لأن كولن باول اقل دراية بمتوجبات التسوية السلمية، بل لأنه بات مضطراً الى تقاسم دوره مع الفاعلين الآخرين في السياسة الخارجية من الصقور، وقد اكسبتهم الحرب على الارهاب واختها على العراق ارجحية واضحة.

النهار
٢٠٠٣/٦/٢٠

لا يستتبع ذلك ان اسرائيل في منأى عن الضغوط. على العكس، يمكن تبيّن حصولها من انتهاء آرييل شارون الى القبول بخريطة الطريق ثم مباشرته القيام بالقليل من مستلزمات هذه الخريطة، وان سعى الى التخفيف من حجم كل خطوة يضطر لها، وصولاً الى وعده الى حكومة محمود عباس باطلاق مروان البرغوثي. ولعل الضغوط في هذه المرحلة ايضاً اكبر مما يظهر منها حتى الآن، واكيد اكبر مما قد يظهر اليوم خلال زيارة باول الخاطفة الى اسرائيل.
لكن الطابع السري لهذه الممارسة يظل، رغم حجة الفاعلية، مصدر تشكيك، وهذا في ذاته عامل اعاقة في وجه استئناف عملية السلام. ذلك ان شعور الفلسطينيين بانهم وحدهم معرضون للضغط، وبحدة والحاح علنيين لا يمكن مقارنتهما بالمعاملة التي قد يلقاها الطرف الآخر، لا يشجع التنظيمات الفلسطينية على تزكية خيار الهدنة المطلوبة من السلطة. اكثر من ذلك، فان بقاء المداولات الحقيقية بين الولايات المتحدة واسرائيل طي الكتمان يدفع الى الاعتقاد، وبناء على تجارب سابقة، بأن تكون ادارة بوش جاهزة لقبول اي خطوة يقدمها شارون على انها تلبية للطلب الاميركي، ومن دون ان تكلف نفسها عناء التدقيق بملاءمة هذه الخطوة مستلزمات خريطة الطريق. وهذا تحديداً ما يثير الخشية من ان يكون باول مستعداً خلال زيارته اليوم للاكتفاء بأي حركة اسرائيلية، مهما تكن جديتها، بل ان يستخدم القليل الذي قد يحصل عليه من شارون لتبرير المزيد من الضغط على حكومة محمود عباس.
ان غياب التكافؤ بين الطرفين ليس جديداً في التعاطي الاميركي مع عملية السلام، ولا شيء في واشنطن ينبئ بتغيّر في هذه الممارسة، وخصوصاً بعد كل ما بان في شرم الشيخ من الهوان العربي. بيد ان الفلسطينيين ليسوا مجردين من كل سلاح في مواجهتهم المزدوجة مع اسرائيل والولايات المتحدة. المهم هو ان يعرفوا ايا من هذه الاسلحة يتوجب استخدامها. وتبدأ هذه المعرفة بادراك اي سلاح اوصلهم حتى الآن الى تعديل رفض ادارة بوش اقامة اي نوع من العلاقات مع سلطتهم الوطنية.
هذا السلاح يسميه البعض الانتفاضة وآخرون المقاومة. لكنه اكبر من هذه وتلك، انه قدرة مجتمع باكمله على الاستعصاء امام كل محاولات الطمس والتدمير، انه كل ما جعل من الشعب الفلسطيني رقماً صعباً، حسب تعبير الرئيس ياسر عرفات. لكنه ايضاً ما كاد شارون ان يقضي عليه ليس بواسطة الاجتياح العسكري، بل بنجاحه في الاندراج في الحرب الاميركية على الارهاب.
في الوقت التي قبلت ادارة بوش اخيراً، وعن غير طيبة خاطر، التعامل مع الرقم الصعب الفلسطيني، فان الوسيلة الوحيدة المتاحة للحد من الاملاءات الاميركية على الساطة الوطنية وفي الآن نفسه للدفع في اتجاه ضغوط اكثر دقة وفاعلية على اسرائيل هي في الحؤول دون استعادة شارون معزوفة الارهاب. واذا كان وقف عسكرة الانتفاضة، الضروري لضمان ذلك، يعني عند البعض وقفاً للانتفاضة برمتها، فليكن. فما بلغته هذه الانتفاضة من نجاح هو تحديداً ما يتطلب حتى يؤتي ثماره عودةً الى السياسة، وان يكن اسمها هدنة.

سمير قصير

النهار
٢٠٠٣/٦/٢٠

Id-Reference	**03-Pr-000692**	
Media	**(Support)**	HC
Title		الانتفاضة حتى تثمر
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٦/٢٠ 20/6/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	ياسر.عرفات – مروان.برغوثي – جايمس.بايكر – اسحق.رابين – كولن.باول – جورج.بوش – محمود.عباس – اريل.شارون
	Locations	فلسطين – اسرائيل – ولايات.متحدة – ضفة.غربية – واشنطن – عراق
	Dates	١٩٩٢
	Themes	فلسطين – صراع.عربي.اسرائيلي – حركة.فتح – علاقة.أميركية.اسرائيلية – حرب.على.ارهاب – اسرائيل عرب – كونغرس.أميركي – سلام – مروان.برغوثي – سجن.اسرائيلي – معتقلين.فلسطينيين – جورج.بوش.أب – خريطة.طريق – يمين.اسرائيلي – جورج.بوش – ولايات.متحدة – حرب.خليج – شرق.أوسط – مؤتمر.مدريد – حكومة.شامير – جيمس.بايكر – ليكود – لوبي.اسرائيلي.ليكودي – تسوية.سلمية – حرب.على.ارهاب – انتفاضة – مقاومة – ياسر.عرفات –
Subject		